الخميس 16-10-2014 العدد 14181
17

حول الحوار المفتوح مع «أدونيس» في الجامعة اليسوعية

لم أكن أرغب في أن أتناول موضوع هذا الحوار الذي أداره الصحفي عبده وازن وبدأه الأكاديمي «جورج سلهب» بمحاضرة بعنوان «أدونيس والتجديد في النظرية الشعرية»، أقول لم أكن أريد مناقشة هذا الموضوع لولا طرح الأستاذ «إلياس العطروني» له على الصفحة الثقافية في جريدة «اللـــواء» لسبب أعتبره وجيها بأن «أدونيس» هو من جملة الشعراء الذاتيين الذين لم يأتوا بأي شيء جديد في حركة الشعر إلا إضعافه كفن يعتمد الموسيقى ليصل إلى أوسع قطاعات الشعب ويتفاعل مع أحاسيسه ليس بهدف ممالأتها بل النهوض بها وتحفيزها لإبداع مستقبلها، لكن «أدونيس»وغيره من الشعراء الكثيرين «المجددين» لم يكونوا سوى شعراء ذاتيين،التزموا «القصيدة» ولم يتطوروا إلى صياغة الموضوعات الفلسفية وإيصالها إلى الجماهير الواسعة المنتظرة والمترقبة عند المفترقات الثقافية، والقصيدة مهما سما مستواها الفني تبقى أمرا ذاتيا يخرج من أحاسيس الشاعر ومن تجربته الشخصية التي قد تقترب وقد تبتعد عن أحاسيس الجماهير لكنها لا تقدم شيئا للهدف المنشود في وظيفة الشعر كأداة فنية لتغيير الواقع، إن الشاعر الحق هو الذي يربط الشعر بالفلسفة من أجل التغيير وليس الذي يعمل على ابتداع أشكال شعرية يكتنفها الغموض وتحيط بها الطلاسم، والهدف تسفيه اللغة ومكوناتها والزعم في ابتداع لغة جديدة للتفاهم ،عند هذا الحد يأخذ هذا الشاعر «المجدد» مكانه خارج اللغة وخارج الثقافة وينتهي كمجموعة إلى شلل لا تقرأ سوى نتاجها ولا تعجب إلا بنفسها بينما الشعب يبقى بعيدا مستغربا بما يجري في الأبراج العاجية لشعراء «القصيدة» هؤلاء الذين من صفاتهم الأساسية الفقر الثقافي المحلي والعالمي، والغريب أن هؤلاء يدعون تحررهم من الوزن القديم للشعر ومن القافية، بينما ما زالوا متشبثين بنظام القصيدة دون أن يقتربوا من القصة أو المسرح ،هذا ما يكشف فقرهم الثقافي الفاجع، فالقصة تريد أن تقول شيئا بقالب أدبي وتنقب في خفايا المجتمعات،أما المسرحية فهي التي تضع الجماهير أمام أنفسهم وتدلهم على

أدونيس

طريق الخلاص، لكن شعراءنا و«أدونيس» مثالهم لايحلو لهم سوى الإشتغال بالمعاني دون إيصال الرسالة الحقيقية للشعر الحديث الذي يزعمون ريادته،فالواضح أن شعرهم لم يصل إلى الخباز والجزار والحداد والنجار، هؤلاء صناع التغيير وأدواته.

ويستمر «أدونيس» في محاولاته التخريبية في اللغة وفي التاريخ، وقد تناول الأستاذ «العطروني» ماذهب إليه «أدونيس» من أن «نبي المسلمين هو خاتم الأنبياء، وتحت هذا العنوان يقول:هذه الحقائق التي بلغها هذا النبي هي آخر الحقائق، لن يكون هناك أي نبي آخر إذا، فليس هناك حقائق أخرى، الإنسان ليس له أن يغير أويضيف أو يبدل، في أقصى حال له أن يفسر أو يشرح أو يؤول أي يجب أن يطيع ويطبق» وما نراه تفسيرا لهذا القول أن قائله، إما أنه جاهل تماما بتاريخ الحركات الفكرية والصراعات التي شهدتها، أو هو جاهل لغنى «الشريعة» والنصوص والأحاديث التي تتنوع في تناول كافة وجوه الحياة البشرية،حتى أن أصحاب القوانين الوضعية قد اعتبروا «نبي المسلمين» أحد مصادر التشريع الحديث، فالإسلام كما هو معروف قد مر بأطوار متعددة منها طور الإيمان وطور العبادات وطور تنظيم العلاقات بين البشر، وقد أبدع في هذا المجال قوانين التجارة والعلاقات الإنسانية والأخلاقية العامة والعلاقات الجنسية ومسائل تنظيم العلاقات الإقتصادية بين الأقرباء والأبعدين، التي كانت هي الأساس في الفتوحات التي يزعم الجهلة يواكبهم المغرضون أن الفتوحات إنما تمت بالسيف وليس بغيره، و«أدونيس» هذا يتعالى ويخرج عن سياق العلم والأدب حين يسمي النبي (ص) «هذا النبي» وهو كأحد أفراد الطائفة العلوية يعرف من تاريخ طائفته أن الحركة الفكرية التي أطلقها الإسلام قد أتاحت ظهور الفرق المختلفة ومن بينها فرقته الذي ينتمي إليها، ولم تستطع تلك الفرقة رغم تطرفها سوى أن تنهل من معين الدين الحنيف، ولكنها كان محكوما عليها بالإضمحلال والتلاشي لأنها أفضت إلى انحرافات سلطوية خارج فكر الجماعة ومصالحها الدينية والدنيوية. ولا بد لنا في هذا السياق من التطرق إلى الإسم الذي اختاره الشاعر ليكون عنوانا لتوجهه «أدونيس» و«أدون» تعني في اللغات السامية القديمة رب أو سيدوعرف عند البابليين بإسم «أدونيس» ،إذن قد يكون طموح الشاعر أن يكون ربا ولا يكتفي بما ذهب إليه «المتنبي» بادعاء النبوة، وقد يكون أراد الخروج عن الثقافة العربية والبحث عن هوية له في الأساطير وهذا خارج الثقافة والفلسفة والتاريخ، وهو أقرب إلى عقدة نفسية تقتضي معالجتها.

لا بد لنا فيما بعد من الإنتقال إلى المحور الآخر من جلسة الحوار التي يأبى الشاعر «الكبير» إلا أن ينتهز الفرصة لإشعال بعض البخور فيها حين يكيل المدائح للمسيحيين الذين يحضرون في «بيت ينهب أو كنيسة تحرق أو امرأة تسبى» وهذا ما يتسبب به طبعا محيط إسلامي يعيش بلا ثقافة،ولكن السؤال المركزي في هذا الحوار يأتي على الشكل التالي، كيف يغير الشعر؟ يقول شاعرنا «الكبير» أن الشعر هو من واقع هذه الثقافة ويتحفنا بتوجيهات للشعراء ،وينسى أنه كما روجت له صحف ونشرات ودوريات «أنه محطم الأيقونات ،أيقونات التحجر والظلامية والثبات من الجهات كلها،شاعر مضرم الحرائق في اليباس الذي ينتشر في العقول العربية الجامدة والمحنطة، هو صاحب مقولات كان لها وقع الزلزال في العالم العربي» لابد من أن من يسمع أو يقرأ هذا الكلام سوف تصيبه الدهشة ،حين لايرى أثرا لهذا الزلزال الرهيب الذي لم يحدث أي صدع منذ بدأ شاعرنا بهز الكرة الأرضية بيديه وفكره وشعره، ويحق لنا أن نتساءل ترى أين هي الملايين التي قرأت روائعه الشعرية، أم أن هذه الروائع بقيت محجوزة بين فئة قليلة من الناس تبرع في حل الألغاز أكثر من معرفتها أو حتى اهتمامها بحل قضايا الإنسان ومستقبله وتعطشه للحرية والنماء والتقدم،أما السؤال فهو مازال يطرح منذ أكثر من خمسين سنة على «شاعرنا» وعلى غيره من الشعراء، ولا من مجيب، أما الإجابة فتكمن بالنزول إلى الشعب وطرح قضاياه، ومغادرة الأبراج العاجية الزائفة، وتحديد المعاني لثقافة الشاعر، فشعراؤنا هم الذين يعيشون حالة ادعاء فلسفي بلا ثقافة، وليس المسلمون هم الذين يعيشون إسلاما بلا ثقافة. يتهم «أدونيس» المسلمين بأنهم يعيشون حال تشتت بين الإسلام وقيم الحضارة الغربية، وهو نفسه الذي يأخذ شكل الوزن الحديث في القصيدة الغربية وينافح من أجلها، ولا يقترب من جوهر تلك القصيدة التي نظمت لتؤمن معبرا سلسا إلى عقول الناس وقلوبهم، فلم يتحفنا الشاعر يوما بما قدمه (غوته أو دانتي أو فيكتور هيجو أو فولتير أو ألبرتو موراڤيا) أو شعراء المسرح الحديث(ت. إس. أليوت أو أو كريسوفر فراي أو لوركا) هؤلاء الشعراء الذين كان لهم الأثر الحاسم في صناعة النهضة الغربية الحديثة.

محمد صالح أبو الحمايل

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"